

السيرة الحكيمة

وفاة

فاطمة

فاطمة

فاطمة

فاطمة

فاطمة

فاطمة

الطفولة الراعية

اسم القصة: الطفولة الواعية
اسم السلسلة: السيرة الفاطمية (ع)
إعداد: أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناسر

يحظر نسخ أو تصوير أو ترجمة أو إعادة التتضيد بشكل كامل أو جزئي
أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على
إسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من الناسر



Published by Aalami Est

Beirut Airport Road

Tel:01/4504526 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

صندوق بريد: ٧١٢٠

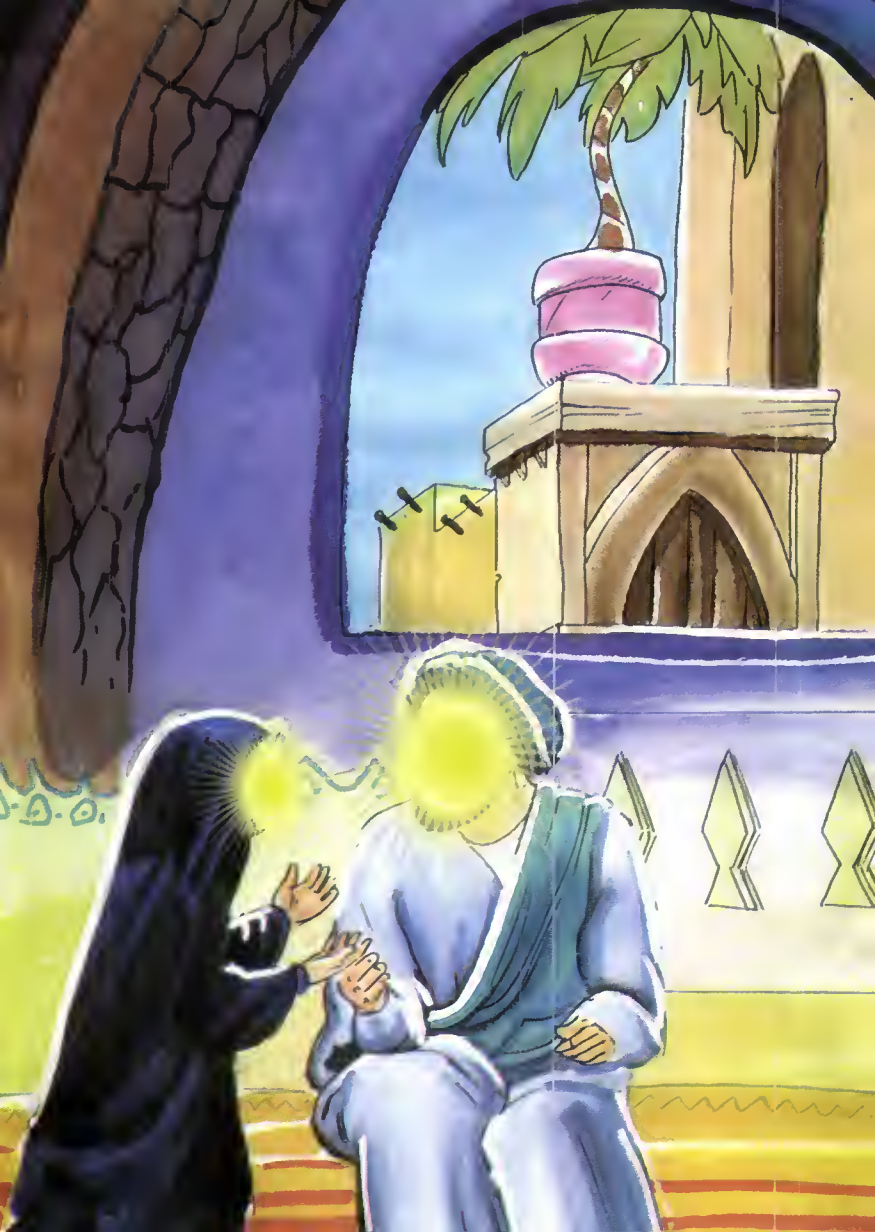
www.alaalami.com

E-mail: alaalami@yahoo.com

سلسلة السيرة الفاطمية (ع)



الطفولة الواعية



لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ طِفْلَةً مِثْلَ فَاطِمَةَ (ع) ، وَمَا
عَاصَرَهَا وَرَأَاهَا بَشَرٌ إِلَّا وَأَقْعَدَتْهُ صِفَاتُهَا يَتَأَمَّلُ
ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ السَّمَاوِيِّ وَهُوَ يَدُبُّ عَلَى الْأَرْضِ ،
كَانَ ذَكَوُّهَا لَا يَوْصَفُ ، وَجَمَالُهَا لَا تَشْبَعُ مِنْهُ
عَيْنٌ ، وَنُورُهَا لَا يَتَوَقَّفُ عَنْ أَمْتِدَادِهِ ، وَكُلُّ
الْعَجَبِ فِي أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ شَهِدُوا طُفُولَتَهَا لَمْ
يَكُونُوا جَمِيعُهُمْ مُؤْمِنِينَ .

لَمْ يُذْهِشْ مُحَمَّدًا (ص) اسْتِعْدَادُ ابْنَتِهِ الزَّهْرَاءِ (ع)
لِجَمْعِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ بِمَا يَعْجُزُ عَنْهُ السَّادَةُ الْأَنْجَابُ ،
فَهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ سِرَّهَا الْمَكْنُونِ فِي ذَاتِهِ قَبْلَ ذَاتِهَا .

وَلَأَنَّ لَدَيْهَا ذَلِكَ الْاسْتِعْدَادُ وَالتَّهَيُّؤُ لِلْفَهْمِ وَالتَّعَلُّمِ
وَالْإِذْرَاكِ ، رَاحَ النَّبِيُّ (ص) يُغْدِقُ عَلَيْهَا مِنَ الْعِلْمِ
الْإِلَهِيِّ ، وَالْمَعَارِفِ الْإِيمَانِيَّةِ مَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى
وَخَدَّاهَا بِهِ .

إِنَّ فِي تَفْكِيرِهَا الْعَمِيقِ ، وَإِحْسَاسِهَا الْمُرْهَفِ ،
وَطَهَارَةِ نَفْسِهَا مَا جَعَلَهَا أَهْلًا لِتَذَرُجَ عَلَى
دُرُوبِ الثُّبُوتِ خَلْفَ أَبِيهَا مُحَمَّدٍ (ص) .



وَتَحَوَّلَتْ مَعَارِفُ الزَّهْرَاءِ (ع) إِلَى سُلوِكِ طَبَعِ
تَعَامُلِهَا مَعَ وَالِدَيْهَا وَمَعَ النَّاسِ، فَكَانَتْ سَيِّدَةً بِحَقِّ،
لَمْ يُسَجَّلْ لَهَا مَخْلُوقٌ هَفْوَةٌ قَطُّ، وَلَا أَخَذَ عَلَيْهَا
حَتَّى أَعْدَاءُ النَّبِيِّ (ص) مَاخِذًا أَبَدًا!!.

أَمَّا تِلْكَ التَّرْيِيَةُ الْفَذَّةُ الَّتِي كَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا
هَذِهِ الْأُنْثَى مِنْ دُونِ سِوَاهَا مِنْ نِسَاءِ الْأَرْضِ، فَقَدْ
زَيَّنَتْهَا بِعَاطِفَةٍ صَادِقَةٍ، وَحُبٍّ نَادِرٍ خَصَّتْ بِهِ أَبَاهَا
النَّبِيُّ (ص).

هَذِهِ الْعَاطِفَةُ الْعَذْبَةُ الرَّقِيقَةُ حَمَلَتْ إِلَى قَلْبِ
الزَّهْرَاءِ (ع) عَذَابًا دَائِمًا، وَهِيَ تَرَى أَعْدَاءَ أَبِيهَا
حَوْلَهُ، يَكِيدُونَ لَهُ، وَيَرْشُمُونَ الْخِطَطَ لِقَتْلِهِ،
وَيَعْقِدُونَ الْأَجْتِمَاعَاتِ بِنِيَّةِ إِذَائِهِ وَمُحَارَبَتِهِ.

كَانَتْ الزَّهْرَاءُ (ع) أَكْثَرَ قُرْبًا مِنْ أَبِيهَا (ص) مِنْ أَيِّ
شَخْصٍ آخَرَ، وَكَانَتْ تَشْعُرُ بِالْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِهِ.
وَلَكِنَّ صِغَرَ سِنِّيَّهَا، وَنُحُولَ جَسَدِهَا يُحَوِّلَانِ هَذَا
الشُّعُورَ الْمُرْهَفَ، إِلَى دَمْعِ سَكُوبٍ لَا يَتَوَقَّفُ،
وَقَلَقٍ دَائِمٍ لَا يَتْرُكُهَا لِرَاحَةِ الْبَالِ لِحِظَةٍ.



وَكَمْ تَكَرَّرَتْ مَشَاهِدُ رُؤْيَا الزَّهْرَاءِ (ع) لِلنَّبِيِّ (ص)
وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَتْلُو الْقُرْآنَ ، أَوْ يُصَلِّي ،
فِيمَا الْمُشْرِكُونَ يُحَاوِلُونَ تَنْفِيذَ كُلِّ مَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ
أَحْقَادُهُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مُؤَذِّيَةٍ بِحَقِّ النَّبِيِّ (ص).

وَلَقَدْ تَبَعَتْ أَبَاهَا (ص) يَوْمًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ،
فَوَجَدَتْ أَحَدَ الْمُشْرِكِينَ يُفْرِغُ الْأَقْدَارَ عَلَى ظَهْرِ
أَبِيهَا الشَّرِيفِ (ص) وَهُوَ سَاجِدٌ .

فَرَأَتْ (ع) تَمْسُحُ الْأَقْدَارَ عَنْ ظَهْرِ أَبِيهَا وَعَنْ
ثِيَابِهِ ، وَهِيَ تَصِيحُ فِي وَجْهِهِ الرِّجَالِ بِجُرْأَةٍ وَشَجَاعَةٍ ،
فَيُضْحَكُونَ هَازِلِينَ بِمَا تَفْعَلُهُ صَغِيرَةٌ مُحَمَّدٍ (ص)
عَلَى صِغَرِ سِنِّهَا ، وَقَصَرِ قَامَتِهَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ اجْتَمَعَ رِجَالُ قُرَيْشٍ فِي حِجْرِ
إِسْمَاعِيلَ (ع) فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَرَاحُوا يُقْسِمُونَ
بِأَوْثَانِهِمْ وَيَتَعَاقِدُونَ عَلَى قَتْلِ مُحَمَّدٍ (ص) إِنْ رَأَوْهُ ،
وَأَنْ يَهْجُمُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا . فَأَسْرَعَتِ الزَّهْرَاءُ (ع) إِلَى
أَبِيهَا (ص) بَاكِئَةً تَحْكِي لَهُ مَا سَمِعَتْهُ .



وَشَدَّدَ الْمُشْرِكُونَ فِي قُرَيْشٍ مِنْ إِجْرَاءِ اتِّهَمَ بِحَقِّ
مُحَمَّدٍ (ص) ، وَهَدَّدُوهُ وَهَدَّدُوا أَهْلَهُ وَقَوْمَهُ ، وَكَانَ
النَّبِيُّ (ص) يَعْيشُ مُتَرَقِّباً مَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ
نَوَايَاهُمْ الْخَبِيثَةُ ، وَأَحْقَادُهُمْ وَضَعَائَتْهُمْ .

كَانَتِ الزَّهْرَاءُ (ع) طِفْلاً ، وَلَكِنَّ وَعْيَهَا الْكَبِيرَ
وَضَعَهَا فِي وَاقِعٍ صَعْبٍ وَمَرِيرٍ ، وَهِيَ تَتَوَقَّعُ كَحَالِ
أَهْلِهَا أَنْ يَهْجُمَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ عَمَّ
النَّبِيِّ (ص) فِي أَيِّ وَقْتٍ .

ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) وَجَدَ أَنَّ الْاِخْتِفَاءَ فِي شُعْبِ
أَبِي طَالِبٍ قَدْ يَحْمِلُ بَعْضَ الْحَلِّ الْمُؤَقَّتِ لِلْأَزْمَةِ
الَّتِي يُعَانِيهَا .

ثُمَّ انْتَهَى الْمُشْرِكُونَ إِلَى أَنْ كَتَبُوا صَحِيفَةً قَاطِعَةً ،
تَحَرَّمُ عَلَى أَهْلِ قُرَيْشٍ جَمِيعاً أَنْ يَتَعَاملُوا مَعَ بَنِي
هَاشِمٍ ، حَتَّى عَلَى صَعِيدِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ .



وَذَاقَ أَطْفَالُ الْهَاشِمِيِّينَ أَلَمَ الْجُوعِ، وَهُمْ
يُحْرَمُونَ مِنْ أُبْسَطِ احْتِيَاجَاتِ الْأَطْفَالِ مِنَ الطَّعَامِ
وَالْكِسَاءِ، فِيمَا أَهْلُ قُرَيْشٍ يُضْغَوْنَ إِلَى بَكَائِهِمْ، فَلَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمْ صُنْعَ شَيْءٍ لِأَجْلِهِمْ.

وَطَالَتْ مُدَّةُ هَذِهِ الْأَزْمَةِ، وَالزَّهْرَاءُ (ع) بَيْنَ أَوْلِيكَ
الْأَطْفَالِ.

وَانْقَضَى مَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ سِنِينَ فِيمَا السَّيِّدَةُ
خَدِيجَةُ (ع) أُمُّهَا تُنْفِقُ مِنْ مَالِهَا مَا يُسَاعِدُ عَلَى
التَّخْفِيفِ مِنْ هَذَا الْقَرَارِ الْجَائِرِ.

هَذِهِ الْفِتْرَةُ مِنْ حَيَاةِ الزَّهْرَاءِ (ع) شَحَنَتْ نَفْسَهَا
بِصَبْرٍ جَدِيدٍ، وَقَوَّتْهَا بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ أَهْلَتْهَا فِيمَا بَعْدَ
لِتَحْمَلِ مَصَاعِبَ أَكْبَرٍ، وَآلِماً أَعَمَّقَ.

مَرَّتْ فِتْرَةُ الْمُقَاطَعَةِ تِلْكَ، وَأَنْتَهَتْ الْأَزْمَةُ الَّتِي
عَانِيَ مِنْهَا بَنُو هَاشِمٍ مَا عَانَوْهُ، فَمَا الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُ
الزَّهْرَاءُ (ع) بَعْدَ ذَلِكَ؟



كَانَتِ الزَّهْرَاءُ (ع) حِينَ تَشْعُرُ بِالْأَلَمِ لِمَا يُعَانِيهِ
أَبُوهَا فِي دَعْوَتِهِ لِلإِسْلَامِ تَرَى وَجْهَيْنِ مُشْرِقَيْنِ
بِالْأَمَلِ، أَحَدُهُمَا وَجْهَ عَمِّ أَبِي طَالِبٍ، وَالْآخَرُ
وَجْهَ أُمِّهَا خَدِيجَةَ (ع).

كَمْ مِنْ مَرَّةٍ شَاهَدَتِ الزَّهْرَاءُ (ع) عَمَّ أَبِيهَا أَبَا
طَالِبٍ، وَهُوَ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَيُنَادِي أَخَاهُ حَمْزَةً
لِيُرَافِقَا النَّبِيَّ (ص) إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَيَتَفَرَّقُ
الْأَعْدَاءُ مِنْ طَرِيقِ النَّبِيِّ (ص) خَائِفِينَ وَجَلِيلِينَ.

وَلَكُمْ سَمِعَتْ أَوْ رَأَتْ أَوْ أُخْبِرَتْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ
وَهُوَ يُنَادِي أَبْنَاءَهُ فَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَفْتَدُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَلَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ (ص) وَابْنَهُ عَلِيًّا (ع) يُصَلِّيَانِ ،
وَعَلِيٌّ (ع) عَلَى يَمِينِهِ ، فَقَالَ لِحُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
" صَلِّ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ وَصَلِّ عَنْ يَسَارِهِ."

فَقَامَ جَعْفَرُ (رَضِيَ) إِلَى جَنْبِ عَلِيٍّ (ع) فَأَحَسَّ
النَّبِيُّ (ص) فَتَقَدَّمَهُمَا فَأَقْبَلُوا عَلَى صَلَاتِهِمْ حَتَّى فَرَغُوا.
هَكَذَا كَانَ أَبُو طَالِبٍ ، كَانَ لَيْثًا غَضُوبًا إِنْ أَسَاءَ
أَحَدُهُمُ الْقَوْلَ أَوْ الْفِعْلَ إِلَى وَالِدِ الزَّهْرَاءِ (ع).



وَهِيَ لَا شَكَّ سَمِعَتْ وَعَرَفَتْ بِمَا فَعَلَهُ أَبُو طَالِبٍ
بِالْمُشْرِكِينَ حِينَ خَرَجَ النَّبِيُّ (ص) إِلَى الْكَعْبَةِ يَوْمًا،
وَأَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ
- لَعَنَهُ اللَّهُ - : مَنْ يَقُومُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ
صَلَاتَهُ؟.

فَقَامَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ، فَأَخَذَ فَرْشًا وَدَمًا، فَلَطَّخَ بِهِ
وَجْهَ النَّبِيِّ (ص)، فَاثْقَلَ النَّبِيُّ (ص) مِنْ صَلَاتِهِ،
ثُمَّ أَتَى أَبَا طَالِبٍ عَمَّهُ فَقَالَ : " يَا عَمِّ ! أَلَا تَرَى إِلَى
مَا فَعَلَ بِي؟ ".

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : " مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ؟ " فَقَالَ
النَّبِيُّ (ص) : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ.

فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ وَوَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَمَشَى
مَعَهُ حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ،

فَلَمَّا رَأَوْا أَبَا طَالِبٍ قَدْ أُقْبِلَ، جَعَلَ الْقَوْمُ
يَنْهَضُونَ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : " وَاللَّهِ لَئِنْ قَامَ رَجُلٌ
لَجَلَلْتُهُ بِسَيْفِي ". فَقَعَدُوا حَتَّى دَنَا إِلَيْهِمْ. فَقَالَ :
" يَا بُنَيَّ ، مَنْ الْفَاعِلُ بِكَ هَذَا؟ "



فَقَالَ: "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ".

فَأَخَذَ أَبُو طَالِبٍ فَرْتًا وَدَمًا، فَلَطَّخَ بِهِ وُجُوهَهُمْ وَلِحَاهُمْ
وِثْيَابَهُمْ، وَأَسَاءَ لَهُمُ الْقَوْلَ.

هذه صورة من مواقف أبي طالب (ع) التي كانت تحمّل
إلى قلب الزهراء (ع) سروراً وأطمئناناً، كلّما حاق الخطر
بأبيها النبيّ (ص) فيهنّ الخطب، ويهدأ بالها.

أما أمّها خديجة (ع) سيّدة نساء أهل الجنّة، وأوّل امرأة
أمّنت بالنبيّ (ص) وصدّقته، وغمرت قلبه بالسّعادة
والهناء، ونذرت مالها ونفسها وحياتها لنصرتّه، حتّى
باتت تنام هي والرّسول (ص) في كساء واحد، لم يعد
عندها غيره.

هذه الأمّ العظيمة التي احتضنت الزهراء (ع) في
طُفولتها، كانت لها كما كانت لمحمّد (ص) السّلوى
والعزاء في مواجهة كلّ الخطوب.



لَكِنَّ الْحَيَاةَ لَمْ تَمْضِ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَمَنَّتُهُ
الزَّهْرَاءُ (ع).

فَأَبُو طَالِبٍ دَخَلَ فِي مَرْحَلَةِ الشَّيْخُوخَةِ مِنْ عُمُرِهِ
وَتَخَطَّى الثَّمَانِينَ ، وَرَاحَ الْمَرَضُ يَفْتِكُ بِهِ .

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى رَأَتْ الزَّهْرَاءُ (ع) أَبَاهَا
النَّبِيَّ (ص) يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ دَامِعَ الْعَيْنَيْنِ ، مَكْسُورَ
الْفُؤَادِ . لَقَدْ تُوفِّي أَبُو طَالِبٍ الَّذِي كَانَ يَمْلَأُ قَلْبَ
الزَّهْرَاءِ (ع) بِالْفَرَحِ يَوْمَ كَانَ الْأَلَمُ يَحُوقُ بِهَا ،
وَانْكَسَرَ السَّيْفُ الَّذِي كَانَ الْأَعْدَاءُ يَهَايُونُهُ
وَيَحْسَبُونَ لِحَدِّهِ أَلْفَ حِسَابٍ .

هُنَاكَ كَانَتْ خَدِيجَةُ (ع) تَمْسَحُ دُمُوعَ النَّبِيِّ (ص) ،
وَتُخَفِّفُ أَوْجَاعَهُ وَتَحْتَضِنُ أَبْنَتَهَا الزَّهْرَاءَ (ع) لِتُخَفِّفَ
مِنْ شُعُورِهَا بِالْحُزَنِ عَلَى مَا يُكَابِدُهُ أَبُوهَا النَّبِيُّ (ص)
وَمَا يُقْلِقُهَا مِنْ أَمْرِ أَعْدَائِهِ الْمُتَرَبِّصِينَ بِهِ .

وَلَمْ تَمْضِ سِوَى فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ ، حَتَّى مَرَضَتْ
خَدِيجَةُ (ع) . كَانَتْ الزَّهْرَاءُ (ع) قَدْ قَارَبَتْ الثَّامِنَةَ
مِنْ عُمُرِهَا ، فَرَاخَتْ تَنْظُرُ إِلَى أُمِّهَا الْحَنُونِ بِأَلَمٍ
وَأَنْكِسَارٍ ، مِنْ دُونَ أَنْ يَكُونَ فِي يَدِهَا مَا تَفْعَلُهُ .



بَكَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (ع) وَهِيَ طَرِيحَةُ الْفِرَاشِ
تَتَهَيَّأُ لِلِقَاءِ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَالَتْ لَهَا أَسْمَاءُ
بِنْتُ عُمَيْسٍ: "أَتَبْكِينَ وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ؟
وَأَنْتِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ؟ مُبَشِّرَةٌ عَلَى لِسَانِهِ بِالْجَنَّةِ؟".
فَقَالَتْ (ع): "مَا لِهَذَا بِكَيْتُ، وَلَكِنَّ الْمَرْأَةَ لَيْلَةً
زَفَافِهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنْ امْرَأَةٍ تُفْضِي إِلَيْهَا بِسَرِّهَا،
وَتَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى حَوَائِجِهَا، وَفَاطِمَةُ حَدِيثُهُ عَهْدٍ
بِصَبَا، وَأَخَافُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهَا مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهَا
حِينَئِذٍ".

فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: "يَا سَيِّدَتِي لَكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ بَقِيتُ
إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أَقُومَ مَقَامَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ".
وَحِينَ اشْتَدَّ بِخَدِيجَةَ (ع) الْمَرَضُ، قَالَتْ
لِلنَّبِيِّ (ص): "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْمَعْ وَصَايَايَ. أَوَّلًا
فَإِنِّي قَاصِرَةٌ فِي حَقِّكَ، فَأَعْفِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ".
قَالَ (ص): "حَاشَا وَكَلَّا مَا رَأَيْتُ مِنْكَ تَقْصِيرًا، فَقَدْ
بَلَغْتَ جُهْدَكَ وَتَعَبْتَ فِي دَارِي غَايَةَ التَّعَبِ، بَذَلْتَ
أَمْوَالَكَ وَصَرَفْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمِيعَ مَالِكَ".



قَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ. الْوَصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَوْصِيكَ
بِهَذِهِ، وَأَشَارَتْ إِلَى فَاطِمَةَ (ع)، فَإِنَّهَا يَتِيمَةٌ غَرِيبَةٌ
مِنْ بَعْدِي، فَلَا يُؤْذِيهَا أَحَدٌ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَلَا
يَلْطُمَنَّ خَدَّهَا، وَلَا يَصْحَنَ فِي وَجْهِهَا، وَلَا يُرِينَهَا
مَكْرُوهًا. أَمَّا الْوَصِيَّةُ الثَّالِثَةُ، فَإِنِّي أَقُولُهَا لَابْنَتِي
فَاطِمَةَ، وَهِيَ تَقُولُ لَكَ، فَإِنِّي مُسْتَحِيَّةٌ مِنْكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ".

فَقَامَ النَّبِيُّ (ص) وَخَرَجَ مِنَ الْحُجْرَةِ، فَدَعَتْ
خَدِيجَةَ (ع) بِفَاطِمَةَ (ع)، وَقَالَتْ: "يَا حَبِيبَتِي وَقُرَّةَ
عَيْنِي، قُولِي لِأَبِيكَ: إِنَّ أُمِّي تَقُولُ: أَنَا خَائِفَةٌ مِنَ
الْقَبْرِ، أُرِيدُ مِنْكَ رِذَاءَكَ الَّذِي تَلْبِسُهُ حِينَ نُزُولِ
الْوَحْيِ، تُكَفِّنُنِي فِيهِ".

فَخَرَجَتِ الزَّهْرَاءُ (ع)، وَقَالَتْ لِأَبِيهَا مَا قَالَتْهُ أُمُّهَا،
فَقَامَ النَّبِيُّ (ص) وَسَلَّمِ الرِّذَاءَ إِلَى فَاطِمَةَ (ع)،
وَأَسْرَعَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهَا، فَسَرَّتْ (ع).



بَعْدَ ذَلِكَ تُوفِّيَتْ خَدِيجَةُ (ع)، وَقَامَ الرَّسُولُ (ص)
بِتَجْهِيزِهَا كَيْ تُدْفَنَ، وَحِينَ أَرَادَ أَنْ يُكْفَنَهَا هَبَطَ
جِبْرَائِيلُ (ع)، وَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُقَرِّئُكَ
السَّلَامَ، وَيُخْصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ، وَيَقُولُ لَكَ: يَا
مُحَمَّدُ، إِنَّ كَفْنَ خَدِيجَةَ مِنْ عِنْدِنَا، فَإِنَّهَا بَذَلَتْ
مَالَهَا فِي سَبِيلِنَا".

وَجَاءَ جِبْرَائِيلُ (ع) بِكَفْنٍ، وَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ،
هَذَا كَفْنُ خَدِيجَةَ، وَهُوَ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ أَهْدَى اللَّهُ
إِلَيْهَا". فَكَفَّنَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِرِدَائِهِ الشَّرِيفِ أَوَّلًا،
وَبِمَا جَاءَ بِهِ جِبْرَائِيلُ (ع) ثَانِيًا. وَكَانَ لِخَدِيجَةَ (ع)
مِنْ دُونِ النَّاسِ جَمِيعًا كَفْنٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفْنٌ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ (ص).

بَعْدَ ذَلِكَ حُمِلَتْ خَدِيجَةُ (ع) إِلَى قَبْرِهَا، حَيْثُ
دَفَنَهَا الرَّسُولُ (ص) فِي الْحُجُونِ، وَنَزَلَ (ص) فِي
قَبْرِهَا. إِلَى هُنَاكَ لَحِقَتْ بِهِ الزَّهْرَاءُ (ع)، وَرَاحَتْ
تَلُوذُ بِهِ، وَتَدُورُ حَوْلَهُ، وَتَسْأَلُهُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَ
أُمِّي؟".



وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) لَا يُجِيبُهَا. فَرَأَتْ الزَّهْرَاءُ (ع)
تَبَحُّثَ عَمَّنْ تَسْأَلُهُ. وَإِذْ بِجِبْرَائِيلَ (ع) يَهْبِطُ وَيَقُولُ
لِلنَّبِيِّ (ص): "إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ عَلَى فَاطِمَةَ
السَّلَامِ، وَتَقُولَ لَهَا أُمُّكَ فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، كِعَابُهُ
مِنْ ذَهَبٍ، وَأَعْمِدَتُهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ، بَيْنَ آسِيَةٍ
امْرَأَةٍ فِرْعَوْنٍ، وَمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ".

حِينَذَاكَ قَالَتِ الزَّهْرَاءُ (ع): "إِنَّ اللَّهَ، هُوَ السَّلَامُ
وَمِنْهُ السَّلَامُ وَإِلَيْهِ يَعُودُ السَّلَامُ".

وَعَادَ النَّبِيُّ (ص) إِلَى بَيْتِهِ مُثْقَلًا بِالْهُمُومِ؛ لَقَدْ
خَسِرَ بِوَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ الْحَامِي وَالْمُدَافِعِ،
وَخَسِرَ بِوَفَاةِ زَوْجِهِ الْوَفِيِّ الْحِضْنِ وَالْمُوَاسَاةِ
وَالْعَزَاءِ.

أَمَّا فَاطِمَةُ (ع) فَلَا يُمَكِّنُ لِحُزْنِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
أَنْ يَوْصَفَ، لَقَدْ فَقَدَتْ أُمًّا لَا تُوَازِيهَا امْرَأَةٌ فِي
الْكُونِ كُلِّهِ...



بَعْدَ أَنْ غَرَسَتْ فِي قَلْبِهَا وَفِي سُلُوكِهَا تَرْبِيَةً
فَذَّةً، وَجَمَلَتْهَا بِفَضَائِلَ لَا تُحْصَى، تُضَافُ إِلَى
مَا تَمْلِكُهُ الزَّهْرَاءُ (ع) فِي شَخْصِهَا، مِمَّا حَبَّاهَا
بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا تَيَسَّرَ لَهَا، كَوْنُهَا ابْنَةً
مُحَمَّدٍ (ص).

فِي عَامٍ وَاحِدٍ إِذَا، خَسِرَ النَّبِيُّ (ص) اثْنَيْنِ هُمَا
أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى قَلْبِهِ وَأَكْثَرُهُمْ دِفَاعاً عَنْهُ،
وَعَوْنًا لَهُ فِي تَحْمُلِ أَغْبَاءِ الرِّسَالَةِ. وَسُمِّيَ ذَلِكَ
الْعَامُ بِعَامِ الْأُحْزَانِ.

وَلَمْ يَكَدْ الْمُشْرِكونَ يَعْلَمُونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ (ص)
صَارَ وَحِيداً فِي مُوَاجَهَتِهِمْ - رَغْمَ ازْدِيَادِ الْأَتْبَاعِ
وَالْمُنَاصِرِينَ - حَتَّى هَبَّوْا يُعِيدُونَ الْكَرَّةَ فِي
تَهْيِئَةِ الْخُطَطِ لِإِيْدَائِهِ مِنْ جَدِيدٍ.

كَيْفَ لَا، وَقَدْ انْطَفَأَ ذَلِكَ الْقَنْدِيلُ السَّاهِرُ عَلَى
حِمَايَتِهِ، وَانْكَسَرَ سَيْفُهُ الْمُضَلَّتْ عَلَى شُرُورِهِمْ.
لَقَدْ كَانُوا يَخَافُونَ غَضَبَةَ أَبِي طَالِبٍ، وَيَحْسَبُونَ
حِسَاباً لِمَالِ خَدِيجَةَ الَّذِي كَانَ يُسَهِّلُ وَضْعَ
حُلُولٍ لِلْمُشْكِلَاتِ، فَمَا الَّذِي يَحُولُ الْآنَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَآرِبِهِمْ؟ وَكَيْفَ سَتُوَاجِهُ الزَّهْرَاءُ (ع) كُلَّ
ذَلِكَ إِلَى جَانِبِ النَّبِيِّ (ص).

يا فاطمة الزهراء